كتاب مقاييس اللغة(*)

لابن فارس

للأستاذ حامد مصطفى

تكثر المخطوطات العربية فى مكتبات أوربا كثرة تدعو إلى الإلتفات إلى هذه الثروة العظيمة من أدب العرب وتاريخ العرب وعلوم العرب . ومهما كانت الوسائل التى اجتمعت بها هذه الثروة فى خزائن الكتب الغربية فإن هناك ما يبرر الإرتياح إلى انتقالها إلى تلك البلاد . ذلك أن النهضة العلمية التى قامت فى أوربا على أثر اختفاء نور الحضارة العربية كانت مأخوذة بالحرص على أسباب النهضة ومقومات الثقافة فوجدت فى هذه الكنوز العربية ما يغذى الحركة العلمية ويؤلف عنصراً مهماً من عناصر البحث فأقبلت عليها درساً واهتماماً وحاطتها بكل أسباب العناية والحفظ. هذا على حين كانت العقلية العلمية فى الشرق على الضد من ذلك : فتن وقلاقل وغزوات وانشغال بهذه الحوادث عن العلم والأدب والفنون ، فهجر العلماء والأدباء مواطنهم وفقدوا خزائن كتبهم بسبب هذه الهجرة(١) واغتصبت منهم أحياناً فأحرقت أو رميت فى الأنهار . وما أصاب خزائن الكتب العربية لم يكن إلا بقايا هذه الكتب التى بعثرت فى الأرض فأخذت من أيدى الصبيان والجهلة أو استخلصت من لهيب النيران .

وربما كان أول البلاد التى فقدت ثروتها من الكتب العراق وسورية وأحسنها حظاً فى هذا مصر ، والحوادث السياسية والاجتماعية هى التى تؤول أسباب فقر ذنيك البلدين من الثروة العلمية وحسن حظ هذه منها . على أن الأيام قد عادت بنا إلى الأمل بإمكان العثور على بعض من الكتب القيمة التى لم يكتب لها حظ الطبع والانتشار . ففى بعض المكتبات الشخصية فى العراق يمكننا أن نجد مخطوطات تعد فى طليعة الكتب العربية أثراً وفائدة ، منها كتاب العين للخليل بن أحمد وكتاب المحيط للصاحب بن عباد ، والمجمل لابن فارس وغيرها ومن بين هذه كتاب المقاييس فى اللغة لابن فارس . ولا بد من الكلام على شىء من سيرة ابن فارس مع الكلام على مؤلفه الذى نحن فى عرض ذكره . فهو أحمد بن فارس الرازى . ينسب إلى الرى . عاش فى أواسط القرن الرابع الهجرى ومات سنة ٣٩٥ عاصر الصاحب بن عباد وابن جنى وأخذ عنه بديع الزمان الهمذانى الأسلوب المعروف بأسلوب المقامات . وفى عصره ظهر مؤلفو المعاجم الأولى مثل الصاحب بن عباد صاحب المحيط والجوهرى صاحب الصحاح والأزهرى صاحب التهذيب . . وكان أديباً حسن الأدب والشعر ومن شعره قوله :

وقالوا كيف أنت فقلت خير ... تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمى هرتى وسرور قلبى ... دفاتر لى ومعشوق السراج

وقوله :

إذا كان يؤذيك حر الصيـ ... ـف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن زمان الربيـ ... ـع فأخذك للعلم قل لى متى

ومن لطيف نظمه قوله :

يا دار سعدى بذات الضال من إضم ... سقاك صوب حيا من واكف العين(١)
إنى لأذكر أياماً بها ولسنا ... فى كل إصباح يوم قرة العين(٢)
تدنى مشعشعةً منا ممشَّقة ... تسحها عذبة من نابع العين(٣)
إذا تمزّزها شيخ به طرَق ... سرت بقوتها فى الساق والعين(٤)
والأبريق ملآن من ماء السرور فلا ... تخشى تولّه ما فيه من العين(٥)
وغاب عزّالنا عنا فلا كدر ... فى عيشنا من رقيب السوء والعين(٦)
يقسم الودّ فيا بيننا قسماً ... ميزان صدق بلا بخس ولا عين(٧)
وفائض المال يغنينا بحاضره ... فنكتفى من ثقيل الدين بالعين(٨)

(*) (الرسالة) : تجد فى هذا العدد إعلاناً عن صدور الجزء الأول من هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ محمد عبد السلام هارون المدرس بجامعة فاروق

(١) من ذلك أن أسامة بن منقذ (٥٨٤) فقد فى طريقه من مصر إلى الشام أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة .

(١) السحاب ينشأ من جهة القبلة (٢) عين الإنسان (٣) ما ينبع من الماء (٤) الركبة الطرق ضعف الركبتين (٥) تلهب يكون فى الزيادة والنقصان (٦) الرقيب (٧) الميل فى الميزان (٨) المال الحلال

والمجمل المجتبى تنفى فوائده حفاظه عن كتاب الجم والعين

ولست تجد شيئاً عن ابن فارس أكثر من مثل هذه الأخبار المتناثرة شأنه من هذا شأن كثير ممن يترجم من رجال اللغة خاصة، ومن مؤلفاته عدا كتاب المقاييس كتاب الجمل وهو أشهر كتبه، أخذه سماعاً عمن تقدمه من علماء اللغة الذين يثق بهم. وكتاب متخير الألفاظ، وكتاب فقه اللغة، وكتاب الصاحبي فى اللغة صنفه للصاحب بن عباد وهو مطبوع بمصر (١)، وكتاب نقد الشعر وغيرها من الكتب المفقودة أو الموجودة فى بعض المكتبات المصرية والأوربية. وكتاب المقاييس من أهم مؤلفات ابن فارس فى اللغة. وقد ذكره له السيوطى فى كتابه المزهر وياقوت فى معجم الأدباء. ولم يذكره له صاحب وفيات الأعيان من المتقدمين ولا الأستاذ جرجى زيدان من المتأخرين فى كتابه تاريخ آداب اللغة العربية، وإنما عرض له فى الجزء السابع من مؤلفه هذا فى مناسبة الكلام على بعض المكتبات العربية فى العراق. وكتب الأستاذ عبد القادر المغربى فى مجلة المجمع العلمى العربى أنه عثر على نسخة من كتاب المقاييس وذكر أوصاف هذا الكتاب ورسمه وحجمه ولكن هذا الوصف لا يصدق على النسخة التى نكتب هذه الكلمة عنها وربما كانت النسخ التى رآها ليست كتاب المقاييس أو أنها إيجاز له. فقد قال أنها تبلغ ٧٧٩ صفحة وهى بقطع دون المتوسط وخطها من النسخى الحسن الصغير الحروف وفى الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً. على حين أن النسخة التى نتكلم عليها تقع فى ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبير فى كل صفحة ٢٧ سطراً يبلغ السطر بين ١٦ - ٢١ كلمة بخط نسخى جميل.

وفيما يلى فاتحة الكتاب وخاتمته لتمتاز بهما النسخة الحقيقية من هذا الكتاب الجليل:

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله وبه نستعين. وصلى الله على محمد وآله أجمعين. أقول وبالله التوفيق. للغة العرب مقاييس صحيحة وأصول تتفرع منها فروع. وقد ألف الناس فى جوامع اللفظ ما ألفوا ولم يعربوا فى شىء من ذلك عن مقاييس ولا أصل من تلك الأصول والذى أومأنا إليه باب من العلم جليل وله خطر عظيم. وقد صدرنا كل أصل بأصله الذى يتفرع منه مسائل حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل ويكون المجيب عما يسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه. وبناء الأمر فى سائر ما ذكرناه على كتب مشتهرة عالية تحوى أكثر اللغة. فأعلاها وأشرفها كتاب أبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد المسمى كتاب العين. أخبرنا به على بن إبراهيم القطان بعد أن قرأ عليه قراءة. قال حدثنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الدنى عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن ميدان بن كبرة الأصبهانى ومعروف بن حسان عن الليث. ومنها كتابا ابن عبيد فى غريب الحديث ومصنف الغريب حدثنا على بن عبد العزيز عن أبى عبيد. ومنها كتاب المنطق. أخبرنى به أبى ووالدى فارس بن زكريا عن أبى نصر ابن أخت الليث بن إدريس عن الليث عن ابن السكيت. ومنها كتاب أبى بكر بن دريد صاحب الجمهرة. أخبرنا به أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهانى على بن أحمد الساوى عن أبى بكر. فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيها. ومنها استنبطنا كتابنا هذا مقاييس اللغة. وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها حتى إذا وقفنا على شىء فيها نسبناه إلى قائله إن شاء الله فأول ذلك كتاب الهمزة ٢٢٠

وخاتمة الكتاب تنتهى هكذا:

« قال الشيخ الإمام الأجل السعيد أبو الحسين أحمد بن فارس وأجزل له الثواب. قد ذكرنا ما شرطنا فى صدر الكتاب أن نذكره وهو صدر من اللغة صالح فأما الإحاطة بجميع كلام العرب مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى أو نبى من أنبيائه عليهم السلام بوحى الله تعالى وعز إليه ... والحمد لله أولا وآخراً وباطناً وظاهراً والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله الطيبين الطاهرين أجمعين والحمد لله رب العالمين. تم على يد أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه الغنى خليفة بن يوسف النجفى فى يوم الجمعة ١٨ رجب المرجب من شهور سنة ١١١٧ (كذا) وألف ٢٢

والطريقة التى اتبعها ابن فارس فى تأليف هذا الكتاب الطريقة الأبجدية. وذلك أن المؤلف أراد أن يتجنب العيوب التى

(١) وفى أوله ترجمة غنية لابن فارس بقلم ناشره الأستاذ محب الدين الخطيب

تعرض لها الخليل فى ترتيب كتاب العين ووقع معه فيها أكثر مؤلفى المعاجم اللغوية حتى ظهور الصحاح للجوهرى . مثل الهروى وأبى عمرو الشيبانى فى كتابى الجيم والجمهرة لابن دريد والأزهرى فى التهذيب وابن سيده فى كتابه المحكم .

والترتيب الذى اتبعه ابن فارس فى المقاييس هو الترتيب الأبجدى الذى يلتزم إحداث كتب بعدد الحروف الأبجدية ثم إنشاء أبواب تحتها بعدد هذه الحروف ناقصاً ما سبق منها ترتيبه : ترتب الكلمات فيها على الأصل الثلاثى بحسب ترتيبها الهجائى ، ينقص من هذه الأبواب بطبيعة الحال مالا وجود له من الأصول فى اللغة ومما لا يراه المؤلف صحيحاً (وقد شرطنا فى أول كتابنا هذا أن لا نقيس إلا الكلام الصحيح) . مثال ذلك كتاب الهمزة . فإنه يبدؤه بالهمزة ومضاعف ما بعدها وهو الباء مثل الأب وأتّ وأثّ وأجّ وأح حتى يستوفى جميع الحروف ، ثم يحدث باباً للثلاثى الذى أوله همزة مثل أبتَ وأبث وأبدَ وأبر .. الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والتاء وما يثلثها مثل أتل وأثمَ . الخ وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والثاء والراء وما يثلثها مثل أثرَ وأثلَ وأثمَ وأثن وأثوى . وباباً للثلاثى الذى أوله الهمزة والجيم وما يثلثها مثل أجج وأجد وأجر وأجص وأجل ... الخ وهكذا يجرى المؤلف حتى يستوفى حرف الهمزة وما يكمل معه الأصل الثلاثى متبوعاً بغيره . وبعد أن يفرغ من باب الهمزة ينشىء كتاب الباء ويستوفيه على النحو الذى استوفى فيه كتاب الهمزة . وكذلك يفعل حتى يأتى على عدد من الكتب بعدد حروف الأبجدية متروكا منها ما لا أصل له فى اللغة . والطريقة التى يسلكها فى شرح الألفاظ هى الطريقة القاموسية التى تعطى لكل لفظ ما له من معنى مع شىء من الشواهد وتصنيف المعانى ما وجد إلى التصنيف سبيلاً . وبذلك فهو يجمع بين طريقة المعجم الخالصة وطريقة فقه اللغة . مثال ذلك قوله فى أول كتاب الباء بت . الباء والتاء له وجهان وأصلان أحدهما القطع والآخر ضرب من اللباس . فأما الأول فقالوا البت القطع المستأصل ، يقال بتت الحبل وأبتت . ويقال أعطيته هذه القطعة بتاً بتا وألبتة اشتقاقه من القطع غير أنه مستعمل فى كل أمر يمضى ولا يرجع فيه : يقال انقطع فلان عن فلان فابتتّ وانقبض . قال شمر لخل فى جشم وابتت منقبضاً بحبله من ذرى الثر القطاريف

قال الخليل أبتّ فلان طلاق فلانة أى طلاقاً باتاً .. الخ

وكذلك كلما جاء على أصل من الحروف تتبع له أصوله وإن لم يجد له أصلا أو لم يره نبه على ذلك بمثل قوله : بخ الباء والخاء قد روى فيه كلام ليس أصلا يقاس عليه وما أراه عربياً وهو قولهم عند مدح الشىء بخ وبخبخ فلان إذا قال ذلك مكرراً له . وإذا شذ عن الأصل لفظ عرف بهذا الشذوذ بمثل قوله : وقد شذ عن هذا الأصل كلمتان : قولهم للرجل العظيم الخلق أبد . قال شمر : الذى يمشى مشية الأبد

حامد مصطفى
عضو فى مجلس التمييز الفرعى

جامعة فؤاد الأول

كلية الهندسة

تعلن كلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول عن خلو وظيفة أستاذ مساعد لمادة الجيولوجيا من الدرجة الثالثة بأول مربوطها وقدره ٤٥ جنيهاً شهرياً ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة أن يكون حاصلا على درجة علمية فى الجيولوجيا مع مرتبة الشرف من إحدى الجامعات المعترف بها وذا خبرة عملية فى الـ Field Geology

وتقدم الطلبات برسم حضرة صاحب العزة عميد كلية الهندسة بجامعة فؤاد الأول بالجيزة فى ميعاد لا يتجاوز يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٧ وتقدم طلبات موظفى الحكومة عن طريق المصالح التابعين لها . ٧٥٧٣